القيادة العلمية للجيوش الإسلامية

• **الهدف الأسمى للقيادة العسكرية** : يقرر العلم العسكرى أن الهدف الأسمى للقيادة العسكرية هو «الحصول على النصر فى الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت» . ومن ذلك يتضح أن القيادة العسكرية تسعى بكل ما لديها من فكر ووسائل إلى تحقيق النصر بلا خسائر على الإطلاق وتلك أعلى مرتبة من مراتب تحقيق الأهداف ، فإذا لم يتيسر لها ذلك فليكن النصر بأقل قدر ممكن من التكاليف أو الخسائر فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت .

وعلى هذا الأساس لا يعد نصرًا حقيقيًا بالمقياس العلمى ذلك النوع من النصر الذى يدفع فيه الجيش ثمنًا أكبر من اللازم من الأرواح أو المعدات أو يستنفذ فيه وقتًا أطول من اللازم . ويقرر العلم العسكرى أيضًا أن اقتناء الجيوش لأقوى الأسلحة وأحدثها مع الشجاعة والكفاءة فى رجالها ، لا يكفى لكى تحقق فى الحرب هدف النصر بالمقياس العلمى الذى أوضحناه ما لم يتوافر لهذه الجيوش «أقصى درجات التنظيم وأقصى درجات الكفاءة فى الإدارة» .

• **والحق أن الكفاءة فى «الإدارة»** : عنصر حيوى بالغ الأهمية عظيم الأثر ، فالجيش بتكوينه من قوة بشرية وأسلحة ومعدات قتال كأنه آلة

لا تعمل وحدها ، بل تحتاج إلى من يديرها ، فإذا لم تتوافر الكفاءة فيمن يقوم بعملية الإدارة فإن الآلة لن تؤدى مهمتها بالدرجة المرجوة .. لذلك فإن الإدارة السليمة عنصر حيوى لحسن الأداء وللوصول إلى النتائج المرجوة بنجاح وكفاية . فلو تقابل جيشان في موقعة ، وكان هناك تعادل بينهما فى قوة الرجال والسلاح ماديًا ومعنويًا ، فإن العامل الذى سوف يحسم الموقف ويرجح كفة أحدهما على الآخر هو «الإدارة السليمة» وهذا ما عبر عنه روبرت ماكنمارا وزير الحربية الاسبق للولايات المتحدة . حين قال فى مجال الصراع بينهم وبين الاتحاد السوفيتى إن الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جدًا ، وكذلك الاتحاد السوفيتى ، ولكن الذى سوف يحسم المعركة هو الإدارة السليمة .

• **عناصر الإدارة** : والإدارة عملية خلاقة تتطلب قدرات ومهارات قيادية لتوجيه الطاقات البشرية والمادية نحو تحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاية وبأقل قدر من الخسائر أو التكاليف .

وبذلك فهى عملية اجتماعية وإنسانية من جهة ، واقتصادية وسياسية من جهة أخرى ، وهى تتطلب فى الإدارة الحسنة أن تصبح عملية رشيدة وحاذقة تستطيع أن تستخرج وتستغل فى القوة البشرية وفى المعدات أقصى مالديها من طاقات مادية ومعنوية فتحقق بذلك أعظم النتائج .

وبدهى أنه إذا كانت الإدارة عملية ضرورية فى مجالات العمل والنشاط المختلفة ، فهى فى مجال الصراع المسلح الذى تحيطه الصعوبات والتعقيدات والمتغيرات من كل جانب عملية أشد ضرورة .

وتعرف الإدارة بأنها «هي النشاط الذى يخطط وينظم ويراقب العمليات التى يؤديها الأفراد والمواد والآلات ورأس المال ، وهي توفر التوجيه والتنسيق والإشراف للعمل الإنسانى لمساعدته على تحقيق الأهداف العامة» .

« من ذلك نستخلص أن عملية الإدارة تشتمل على العناصر الأساسية الآتية :

العنصر الأول : هدف يراد تحقيقه .

العنصر الثانى : إجراءات أو أنشطة يمكن استخدامها لتحقيق ذلك الهدف .

العنصر الثالث : جهد بشرى يعتمد على عدد من الموارد والإمكانيات المادية في أداء الأنشطة المحققة للهدف .

ولعل أهم ما يستبين من هذا التحليل هو أن محور العملية الإدارية هو «العنصر البشرى» ، وأنه لابد من تحقيق التعاون بين الأفراد والتنسيق بين جهودهم المختلفة وهذه الحقيقة هى التى تضفى على الإدارة طابعًا خاصًا باعتبارها عملية اجتماعية وإنسانية من ناحية واقتصادية وسياسية من ناحية أخرى كما قدمنا .

ولكى تحقق الإدارة الأهداف بأعلى قدر من الكفاءة فهى تتبع إجراءات وتمارس أنشطة إدارية تنطوى على أعمال مادية وفكرية يطلق عليها «العملية الإدارية» وأهم عناصر تلك العملية الإدارية مايلى :

التخطيط – التنظيم والتنسيق – وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب – اتخاذ القرارات – الرقابة .

• وتعاليم الإسلام التى جاءت بكل ما يصلح به حال المجتمع الإنسانى من مناهج ، تناولت الإدارة وعناصرها على أكمل وجه ، كما قدم الرسول القائد ﷺ أروع الأمثلة فى تطبيق مبادىء الإدارة السليمة فى كل المجالات السياسية والاجتماعية والعسكرية .

• أولا – التخطيط :

التخططيط أسلوب علمى وعملى للربط بين الأهداف والوسائل التى تستخدم لتحقيقها ، والتخطيط بهذا المفهوم هو النظر إلى المستقبل وإلى النتائج التى يرجى بلوغها ثم تحديد الوسائل والأساليب والأعمال التى يؤدى تنفيذها إلى بلوغ الغاية المرجوة ، وهكذا فإن التخطيط – كما يعرفه علماء الإدارة – هو فى حقيقته «عملية تنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل» .

وطبقا للأصول العلمية لا تصبح الخطة سليمة إلا إذا مرت بمراحل معينة تبدأ بتحديد الهدف والحصول على الحقائق والمعلومات ثم استعراض طرق العمل الممكنة وتقدير المشكلات التى تعترضها وحساب الاحتمالات المختلفة ثم الوصول إلى القرار بشأن الطريق الواجب اتباعه .

وعملية التخطيط بهذا الوصف عملية عقلية يستخدم فيها الإنسان عقله الذى يعد من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه والذى ميزه به على سائر المخلوقات . والناس فى استخدامهم للعقل درجات ، فمنهم من

يقصر ذلك على تحصيل المعارف ، ومنهم من لا يكتفى بالتحصيل بل يضيف إليه الإنتاج العقلى ، ومنهم من لا يقنع بذلك بل يرقى إلى مستوى استخدام عقله فى التنبؤ وتقدير احتمالات المستقبل ، ليس على أساس الرجم بالغيب ولكن على أساس إمعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية والإحاطة بكل أبعاد المشكلة والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر .

وليس من شك فى أن الطائفة الأخيرة من الناس التى تستخدم العقل إلى أقصى طاقاته هى الطائفة الموفقة حقًا إلى التخطيط العلمى السليم الذى يكفل للعمل المقرر كل أسباب النجاح ، وهى أيضا الطائفة التى تقدم أكثر من غيرها أجل الأعمال لصلاح حال المجتمع الذى تعيش فيه .

ولقد اهتم الإسلام بالتخطيط باعتباره مظهرًا من مظاهر العلم الذى كان نزول أول آية فى القرآن الكريم به أعظم دليل على تقدير الإسلام للعلم وأهله .

كما اهتم الإسلام بالعقل – ووظيفته التأمل والنظر والتفكير ، وهو أيضًا أداة التنبؤ – وجعله من أعظم مظاهر تكريم الخالق سبحانه وتعالى للإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات كما يفهم من قوله عز جل :

﴿ولقد كَرمنَا بَنى آدمَ وحَملناهُمْ فى البَرِّ والْبحرِ ورزقنَاهُم مِّنَ الطَّيباتِ وفضَّلناهُمْ على كثيرٍ مِّمَّنْ خَلقنَا تَفضيلاً﴾

[الإسراء : ٧٠]

والتأمل والنظر والتفكير هى وظائف العقل الذى كرم الله تعالى الإنسان به ، ولذلك فقد دعا الإسلام إلى النظر والتفكير وعدَّ ذلك من جوهر العبادة كما يفهم من قوله تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِى السَّمواتِ والأرضِ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

• ويندد الإسلام بالجمود الفكرى وإهمال التجديد والتطور وينعى على المقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم ، ويجمدون على القديم المألوف ولو كان الجديد أهدى وأجدى لهم كما يفهم من قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أنزلَ اللَّهُ قالوُا بل نَتَّبِعُ مَا ألفينا عليه آبَاءنَا أَوَ لَوْ كان آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شيئًا ولا يَهتدونَ﴾

[البقرة : ١٧٠]

ورسول الله ﷺ خير قدوة فى العمل بالعلم والتخطيط والسير على المنهج العلمى ، وكان كثيرًا ما يعوذ بربه من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها . فقد قال عليه الصلاة والسلام :

«اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها» .

وقال أيضا «كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به» .

وقال ﷺ «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عمره فيم أفناه ،

وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه» .

كذلك فإن قوله ﷺ «اعمل عمل امرىء يظن أنه لن يموت أبدًا ، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدًا» (رواه البيهقى والديلمى عن ابن عمرو بن العاص) ، لا يوصى بضرورة التخطيط للمستقبل القريب فحسب بل «للمستقبل البعيد» أيضًا وهو أرقى درجات التخطيط .

* ويعلمنا النبى ﷺ أن إهمال التخطيط والتواكل والاستكانة وترك الحذر أمور ليست من الإسلام ، وأنه لابد من أن نخطط لكل أمر من أمورنا بالأسلوب العلمى دون أن نترك شيئًا للصدفة .

ولعل أبلغ دليل على ذلك أن سنته ﷺ جرت على التخطيط العلمى لكل عمل وفى كل مجال ، وهو رسول الله الذى كان يعلم أن الله ناصره وحافظه .

* ومن الأمثلة التى تساق فى هذا المجال ، التخطيط النبوى للهجرة من مكة إلى المدينة فهو مثل رائع ينطوى على كل أركان التخطيط العلمى الذى لا يدع شيئًا لعوامل الصدفة .

- موعد الهجرة أخفاه تمامًا ولم يعلم به إلا أبو بكر وعلى وهو درس فى أهمية السرية والكتمان يؤكده قول الرسول «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» .

- خرج فى الثلث الأخير من الليل إلى منزل أبى بكر ومنه خرج من فتحة فى ظهره .

– ترك فى منزله سيدنا عليًّا نائمًا فى فراشه مغطى بغطائه لخداع المراقبين المحاصرين للبيت فإذا ما نظروا إلى فراشه ظنوه راقدًا فيه فلا يبحثون عنه .

– لم يتجه فى سيره شمالاً وهو الاتجاه الطبيعى والمباشر من مكة إلى المدينة ولم يتجه غربًا سالكًا طريق الساحل بل اتجه جنوبًا بشرق وهو اتجاه لا يتصور الإنسان أن يلجأ إليه مهاجر يستهدف الشمال ولا يمكن أن يفكر فيه المشركون حينما يكتشفون الأمر فيسارعون إلى اللحاق به .

– لم يستمر فى السير طويلاً بل لجأ إلى غار ثور ليحقق مزيدًا من تضليل قريش فى حالة ما إذا بحثوا عنه فى كل اتجاه ؛ واختفاؤه السريع بهذه الصورة يحدث صدمة نفسية لهم توقعهم فى بلبلة وذهول وتشل تفكيرهم ، وتجعل تصرفاتهم عصبية بعيدة كل البعد عن التخطيط الواعى السليم .

– ولقد كان اختياره لمكان الاختباء غاية فى التفكير الفذ ، فقد اختاره مكانًا وعرًا ، وحتى الآن إذا ما أراد شاب قوى أن يصعد إلى مكان الغار وجد فى هذا صعوبة كبيرة ، هذا بينما كان الرسول مهاجرًا فى سن الثالثة والخمسين من عمره .

• كلف عبد الله بن أبى بكر بأن يقوم بدور رجل المخابرات فيتسمع على ما تقوله قريش فى مكة ثم يذهب ليلاً إلى الغار ليبلغ الرسول ، فالرسول بذلك لم يكن منقطعا عن أحوال أعدائه ، وهو يعلمنا بذلك أن

استمرار استطلاع أخبار العدو ضرورة حيوية تمكن من اتخاذ الإجراءات التى يستلزمها الموقف فى الوقت المناسب مما يوفر للخطة الأصلية أسباب النجاح .

• وبالفكر العلمى العميق لم يفته أن عبد الله بن أبى بكر عند عودته إلى مكة كل ليلة سوف يترك آثار أقدامه على الأرض وقد يكتشفها المشركون ، لذلك فقد كان عامر بن فهيرة يرعى غنم أبى بكر نهارًا ولما يحن الليل ينتظر عبد الله بن أبى بكر حتى يخرج من الغار فيسير خلفه حتى تزيل الغنم آثاره .

• كانت أسماء بنت أبى بكر تحضر الطعام إلى الغار فكان لابد من توقيت دقيق بين الراعى وبين الذى ينقل الأخبار والذى يحضر الطعام .

• بعد مرور ثلاثة أيام خرج الرسول من الغار ومعه أبو بكر واستمر فى السير جنوبًا ثم غربًا إلى الشاطئ ثم شمالاً بمحاذاة الساحل وهو طريق غير مألوف إلى المدينة ولاشك أن اختباء الرسول ثلاثة أيام فى الغار يضاعف من الضغط النفسى على قريش حتى يدب اليأس فى قلوبهم وتفتر عزائمهم فى البحث عنه .

• كان دليل الرسول وصاحبه فى الهجرة إلى المدينة عبد الله بن أريقط رغم أنه لم يكن مسلمًا وهو الذى أعد الرواحل التى سافروا عليها .

وهذا الفعل غاية فى التمويه على الأعداء ، فالذى يتصور أن يتجه النظر إلى صحابى محل ثقة النبى ﷺ وأما أن يكون المسئول عن الرواحل والدليل فى الرحلة والشريك فى هذا السر الكبير الذى

أخفاه الرسول عن المسلمين «غير مسلم» فهذا آخر ما كان يمكن أن يرد على ذهن قريش .

• حتى أمر الاتصال بعبد الله بن أريقط فى شأن الرواحل خضع لتفكير دقيق فإذا ما اتصل به عبد الله بن أبى بكر فقد تستريب قريش ، وكذلك إذا ما حدثته أسماء ، ولكن إذا ما اتصل به عامر بن فهيرة ، وهو راع مثله ومن طبيعة الراعى أن يتحرك ليقابل راعيًا ، فليس فى الأمر أية ريبة .

• وطوال الرحلة كان الرسول وصاحبه يسيران على سفينة الصحراء الليل كله وينيخان بالنهار للراحة .

• كل ذلك ينهض دليلاً على التخطيط المحكم الذى أعد لكل أمر عدته حتى تتحقق المهمة بنجاح تام .

• يعلمنا الرسول أيضًا فى مجال الإدارة مبدأ تقسيم العمل ، بحيث تخصص المهمة لكل فرد فى الجماعة حسب قدراته وإمكانياته الشخصية ، فقد كان لكل فرد ساهم فى عملية الهجرة دور محدد :

على بن أبى طالب له دور ، وعبد الله وأسماء لهما مهمة ، وكذلك عامر وعبد الله بن أريقط .

• ويعلمنا الرسول أيضًا مبدأ التنسيق حسب أحدث الأصول العلمية فلا يقتصر فى التخطيط على تقسيم العمل وتوزيعه ، بل يجب أن ينسق بين مختلف القائمين بالعمل ، ويكون التنسيق فى المكان والزمان وبذلك يخرج العمل منسجمًا ومتكاملاً ، وهكذا يضع لنا الرسول الكريم القاعدة

العلمية التى تقول بأنه بدون عملية التخطيط يصبح العمل بغير هدف واضح وغير منظم ، وبدون عملية التنسيق يكون العمل مبعثرًا مشتتًا غير منسجم.

* ثانيا – التنسيق :

من المسلم به أن أى جماعة لها هدف معين لا يمكنها أن تحقق ذلك الهدف إلا إذا توفر عنصر هام فى عملها ، ألا وهو التنسيق ، فإذا لم تعمل الجماعة فى تناسق تام وإذا لم تتضافر جهود أفرادها من أجل تحقيق الهدف فسوف لا تنجز الجماعة شيئًا يذكر . ولو أن باحثًا أراد الوقوف على أسباب العجز أو الفشل فى أداء المهام وتحقيق الأهداف لوجد على رأس هذه الأسباب اختفاء عنصر التنسيق أو ضعفه ، وكم من جهود وأموال تضيع هباء ، وكم من وقت يذهب سدى بسبب عدم التنسيق ، وكم من تضارب فى القرارات أو ازدواج فى الجهود يحدث بسبب غيبة التنسيق ، وكل هذه الأمور تشكل فى مفهوم علم الإدارة ، خسارة كبيرة ، ولا تؤدى إلى تحقيق الأهداف المقررة بالكفاية المرجوة .

ومن أجل ذلك فإن رجال الإدارة يعرفون التنسيق بأنه «هو الترتيب المنظم لجهود الجماعة للوصول إلى وحدة العمل من أجل تحقيق هدف معين» .

* ولو أردنا أن نتتبع أصول التعاون وجذوره – وهو لحمة التنسيق وسداه – فى الإسلام لوجدناه يرجع إلى بداية الخلق وإلى حكمة الله

تعالى فيه حيث يقول جلَّ شأنه : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عند اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[الحجرات : ١٣]

والله تعالى خلق الإنسان اجتماعيًا بطبعه وفى حاجة دائمة إلى من يشاركه حياته ، وإلى من يعينه على قضاء مطالبه ، ولولا هذا الشعور بحاجته إلى غيره ليعينه ويشد أزره ، لعجز عن البقاء يحمل وحده أعباء حياته وتصريف شئونه . وهكذا ينظم الإسلام العلاقة بين الناس على أساس من التعارف والتعاون والتنسيق وتبادل المنفعة ، كما يرشد إلى أن التعاون يكون فى سبيل الخير والبر والتقوى .

كما يفهم من قول الله سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[المائدة : ٢]

وقد حث رسول الله ﷺ على التعاون والتنسيق فى قوله .. «الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه»

وقوله «خير الناس أنفعهم للناس»

وقوله ﷺ «يد الله مع الجماعة»

وينهى الإسلام عن الفرقة والتنازع فى قوله تعالى : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

[الأنفال : ٤٦]

ولقد رأينا فى الهجرة كيف كان التنسيق على أجمل وجه .

• ثالثًا – وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب :

يعد وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب من أعظم مبادىء الإدارة السليمة ومن أهم أسباب النجاح فى إنجاز الأعمال وتحقيق الأهداف . ويقوم هذا المبدأ على أساس المواءمة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذى سوف يشغل هذا العمل .

فإن قيام الفرد بالعمل الذى تناسبه استعداداته وقدراته وميوله ، يمكن من استغلال إمكانياته أفضل استغلال مما يرفع من مستوى الأداء ومن مستوى الكفاءة فى تحقيق الأهداف والنتائج المرجوة .

كما أن هناك عاملاً معنويًا يكمن فى تطبيق هذا المبدأ ، هو أن التوافق بين الفرد والعمل يحفظ للفرد «صحته النفسية» كما يقول علماء النفس لأن هذا التوافق سيوفر للفرد المناخ والفرصة لتحقيق ذاته فى ميدان العمل ، وتكيفه وتوافقه مع البيئة التى تحيط به ، وسلوكه بالطريقة التى تتفق مع فكرته عن نفسه ، وشعوره بالسعادة والرضا عن نفسه وعمله وغيره .

• ويوضح علماء النفس السر فى أهمية تطبيق مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وضرورته بعرض الحقيقتين العلميتين الآتيتين:

١ – الحقيقة الأولى :

إن هناك مايسمى «بالفروق الفردية» بين الناس ، وأنه من المتفق عليه أنه نادرًا ما يتشابه فردان فى جميع الوجوه إذ أن هناك مواضع متعددة

للاختلاف بين الأفراد تعود إلى الوراثة والبيئة ، فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض من حيث الصحة والاستعدادات والقدرات والميول والاتجاهات والشخصية والظروف الاجتماعية ، كما أن هناك فروقًا داخل الفرد نفسه هى مواطن الضعف ومواطن القوة فيه .

٢ – الحقيقة الثانية :

هى اختلاف المستلزمات والخصائص الجسمية والعقلية والاجتماعية التى تتطلبها الأعمال والمهن المختلفة فى الفرد حتى يستطيع أداءها .

وهكذا يكون من الضرورى مراعاة الفروق الفردية بين الناس ، والفروق فى متطلبات الأعمال .. وهذا هو المدخل العلمى للمواءمة بين قدرات الفرد ومتطلبات العمل الذى يوكل إليه ، وبذلك يتحقق مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

* ولقد عنى الإسلام بهذا المبدأ أكبر عناية : فقاعدة «التكليف بالوسع» التى جاء بها الإسلام فى قوله تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفسًا إلا وُسْعَها﴾

تقرر أن الله تعالى لا يكلف الإنسان بما فوق طاقته وقدرته واستعداده كما يلمح قول الرسول ﷺ «كلٌّ ميسر لما خُلق له» (رواه البخارى) إلى المواءمة بين قدرات الفرد ومتطلبات العمل الذى يكلف به .

ويبلغ اهتمام الرسول القائد بهذا المبدأ إلى حد أنه يعد مخالفته غشًّا لله ورسوله وللمسلمين كما يفهم من قوله ﷺ «أيما رجل استعمل رجلاً

على عشرة أنفس علم أن فى العشرة أفضل ممَّن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين» (رواه أبو يعلى عن حذيفة)

• وقد كان رسول الله ﷺ خير من طبق مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وسجل عصر النبوة قدرته الفائقة وخبرته الواسعة ، وبصيرته النافذة فى معرفة النفوس والأخلاق والمواهب والقدرات ومعرفة ما يلائمها من المهام والأعمال وكذلك معرفة الوقت المناسب .

وهذا ما عبر عنه الأستاذ العقاد[1] حين قال وهو يتحدث عن عبقرية النبى ﷺ فى هذا المجال : «فمن علامات العظمة التى تحيى موات الأمم أن تختص بقدرتين لا تعهدان فى غيرها ، أولاهما : أن تبعث كوامن الحياة ودوافع العمل فى الأمة بأسرها وفى رجالها الصالحين لخدمتها ، والأخرى : أن تنفذ ببصيرتها إلى أعماق النفوس فتعرف بالبديهة الصائبة والوحى الصادق فيم تكون عظمة العظيم ، ولأى المواقف يصلح ، وبأى الأعمال يضطلع ومتى يحين أوانه ، وتجب ندبته (أى دعوته للعمل) ومتى ينبغى التريث (الانتظار والتمهل) فى أمره إلى حين» .

وقال أيضا عن اختيار الرسول لأبى بكر للخلافة من بعده :

«إن محمدًا عليه السلام قد عرف من هم رجاله وما هو الموقف الذى هم مقبلون عليه بعد وفاته ، فعرف الموضع الذى يضع فيه كلاً منهم والعمل الذى يتولاه خير ولاية فى ذلك الموضع» .

---

(١) عبقرية عمر - عباس محمود العقاد .

فلقد كان ﷺ يعرف فى أبى بكر الرفق والدعة واللين ، ويعرف فى عمر الشدة والقوة والصرامة ، فاختيار أبى بكر للخلافة بعده كان وضعًا له فى المكان الذى يناسبه لأن الإسلام كان فى حاجة إلى الرفق والدعة والتآلف من أبى بكر ، كما كان فى حاجة إلى الشدة والصرامة والقوة من عمر ، وقد ضمن النبى كل ذلك باستخلاف أبى بكر لأن شدة عمر ستكون مع أبى بكر معبأة حاضرة إذا احتاج إليها .

* وحينما أراد الرسول القائد أن يبعث بسرية من جند جيش الإسلام لاستطلاع أخبار قافلة قريش اختار لقيادتها عبد الله بن جحش لمعرفته بما لديه من خصائص وقدرات تقتضيها تلك المهمة عبر عنها ﷺ فى قوله «لأبعثن عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش» .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملنى (أى تولينى عملاً عامًّا) قال فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : «يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذ بحقها وأدى الذى عليه فيها» .

* وفى غزوة أحد نظر الرسول فوجد خالد بن الوليد على ميمنة فرسان قريش وهو يعرف خالدًا جيدًا ، ويعرف أنه فارس ومقاتل من طراز فريد ، فأراد أن يكون قبالته من المسلمين من يستطيع أن يقف أمامه وقفة الند للند ، فاختار الزبير بن العوام وقال له : «استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه» .

وحينما رأى النبى أن يعين أحد المسلمين ليأتيه بأخبار المنافقين فى المدينة (أى لوظيفة ضابط مخابرات) اختار حذيفة بن اليمان العبسى دون غيره من أصحابه وذلك لأن حذيفة كان يتمتع بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشى سره لأحد ، وبحضور البديهة فلا يرتبك فى المواقف الحرجة ، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات عن الأعداء فلا يفشى نياته ونيات المسلمين وأهدافهم ، وبالذكاء الخارق وموهبة حب الاستطلاع . وهكذا يكون وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب على أساس المواءمة بين متطلبات العمل وقدرات الفرد .

• رابعًا : إتخاذ القرارات :

إن اتخاذ القرارات هو العنصر الأساسى فى القيادة والإدارة ، وهو جوهر عمل القادة فى كل الميادين ، فالقرار هو نقطة البداية والانطلاق لما يأتى بعده من أعمال وإجراءات وتصرفات تستهدف تحقيق النتائج المرجوة .

وعملية اتخاذ القرارات ليست بالمهمة اليسيرة لأنها فى حقيقتها عملية اختيار بين أفضل البدائل والسبل لتحقيق الهدف ، وهى فى نفس الوقت اختبار لمدى كفاية القادة وقدرتهم على تحمل المسئولية والبت فى الأمور .

وتزيد أهمية عملية اتخاذ القرارات وتعظم آثارها تبعا لجسامة المهام وحساسيتها وضخامة أهدافها .

* ومن أجل هذا فقد قرر الإسلام مبدأ الشورى وهو خير ضمان لأن تقوم قرارات الرؤساء والقادة المسلمين على قاعدة واسعة من الدراسة والفحص والجدل الفكرى .

يقول الله تعالى : ﴿وأمرهُمْ شورَى بَيْنهمْ﴾

ويأمر نبيه بأن يشاور أصحابه فى قوله تعالى : ﴿وشَاورهُمْ فى الأمر ، فإذا عَزمْتَ فتوكَّلْ على اللَّه﴾

وكان الرسول القائد ﷺ معنيًّا بالشورى أكبر العناية ومما قاله فيها :

- «استعينوا على أموركم بالمشاورة» .

- «اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمته إلا على هدى» .

- «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم» .

* ولقد ضرب الرسول ﷺ أعظم الأمثلة للقائد الناجح فى تطبيق مبدأ الشورى ، فكان يستعين برأى أصحابه ويتقبل أفكارهم ويعرضها للبحث فإذا ثبتت وجاهتها قبلها وإلا ردها مع ذكر الأسباب .

ولم يكن ﷺ يصادر رأى أحد أو يحتقر وجهة نظره ، وذلك كله فيما لم ينزل فيه وحى أما إذا نزل وحى فلا اجتهاد معه ، وكثيرًا ما كان يقول لأصحابه «أشيروا على أيها الناس» .

وكان تخطيطه للمعارك والغزوات يقوم على أساس الشورى ليس فقط فى القضايا الاستراتيجية العليا مثل ، هل يخرج للقتال أم لا ، أو هل

يقاتل خارج المدينة أم داخلها ، بل إنه كان يأخذ بالمشورة الصالحة فى القضايا التكتيكية أيضًا .

• ففى غزوة بدر نزل على رأى الحباب بن المنذر حين أشار عليه بأن ينتقل من الموقع الذى اتخذه المسلمون بجوار ماء بدر إلى موقع آخر يتحكم تمامًا فى مياه البئر بحيث يقطع الماء عن قريش فى الوقت الذى ينعم فيه المسلمون بالماء الغزير وقال لحباب «أشرت بالرأى» وأمر المسلمين بالانتقال إلى حيث أشار الحباب .

وهكذا يقرر الرسول القائد أن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة ، تقترن بآية الابتكار والإنشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الخبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع ، وهى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام .

• ويوجه الرسول القائد فى مجال اتخاذ القرار إلى الحسم واجتناب التخبط ، والتردد الذى يؤدى للفشل .

ففى أثناء التخطيط لغزوة أحد ، كان هناك رأى يقول بالبقاء فى المدينة ورأى آخر يقول بالخروج لقتال قريش عند أحد ، فرجحت كفة الداعين للخروج وبدأ الرسول يستعد للخروج للقتال ، إلا أن الذين دعوا للخروج ندموا وجاءوا إلى النبى يقولون «يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك» فكان رد النبى حاسما قاطعًا حين

قال : «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته (درعه أو سلاحه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما آمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم» .

وهكذا برهن الرسول على أن احترام المشورة أمر واجب ، وأنه مادام الرأى قد استقر على شيء فقد لزم السير عليه ووجب اتباعه.

• خامسا – الرقابة :

الرقابة من أهم عناصر الإدارة ، فلابد من مراقبة الأعمال التنفيذية ، وملاحظة القائمين بها للتأكد من أن الأداء يتم بالطريقة الصحيحة مع تصحيح الأخطاء فى الحال قبل أن يستفحل أمرها ، والتأكد أيضا من أن تلك الأعمال قد حققت أهدافها المقررة فى التخطيط .

وإهمال الرقابة يؤدى – فى مفهوم علم الإدارة – إلى خسارة كبيرة بسبب ما يقع من خلل وانحراف فى الأداء ، وما ينتج عن ذلك من عجز عن تحقيق الهدف المرجو .

والرقابة فى حقيقتها أمانة عظمى فى عنق كل مسئول رئيسًا كان أو مرءوسًا ، والمدرسة الإسلامية تطالب المسلم بأداء الأمانة وبالإخلاص فى العمل وتدخل الرقابة فى نطاق الوفاء بالعهد وتقدير المسئولية .

• وللرقابة فى الإسلام فلسفة لا تتسامى إليها نظريات علماء الإدارة ، فهى تبدأ بضمير الإنسان فالضمير الدينى للمسلم يدفعه

إلى أن يرعى الله فى عمله ، لأنه هو الرقيب المطلع ويصوره لنا الرسول الكريم فى العبادة بقوله «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». (رواه البخارى)

وهكذا يتخذ المسلم من ضميره رقيبًا على عمله ، ويؤمن بأن الله تعالى هو الرقيب الأعظم ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾.

* والمدرسة الإسلامية بعد هذا ترشد المسلم إلى ضرورة قيامه بالرقابة على الأعمال التى تجرى فى نطاق مسئوليته بالإشراف والملاحظة والمتابعة للتأكد من سلامة التنفيذ ولتصحيح الأخطاء والاطمئنان إلى بلوغ النتائج المرجوة .

يقول النبى ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ويقول «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان» .

ومن هديه ﷺ فى مجال الرقابة على الأعمال أنه فى أثناء بناء المسجد النبوى أشاد برجل راٰه يضرب اللبن بطريقة أفضل مما كان يضربه أخوه ، فقال له : «الزم هذا فإنى أراك تحسنه ورحم الله امرأً أحسن من صنعته» وفى غزوة بدر أشرف النبى بنفسه على تنظيم صفوف المسلمين وتعديلها للقتال ، فوجد رجلاً اسمه سواد خارجًا عن الصف فطعنه بعصا خشبية كانت فى يده وقال : «استو[1] يا سواد».

---

(١) لكى يستوى فى الصف .